مقالات

في الأدب والحياة

تأليف

طارق يسن الطاهر

ⓒ دار رسم القلم للنشر والتوزيع ، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطاهر ، طارق يسن
مقالات في الأدب والحياة. / طارق يسن الطاهر .- الطائف ، ١٤٣٩هـ
٤٨ ص ؛ ..سم

ردمك: ١-٣-٩٠٦٣١-٦٠٣-٩٧٨

١- المقالات العربية أ.العنوان
ديوي ٠٨١ ١٤٣٩/٩٥٩٦

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٩٥٩٦
ردمك: ١-٣-٩٠٦٣١-٦٠٣-٩٧٨

(ملاحظة): لا يتم طباعة الجزء الأسفل مع بطاقة الفهرسة

تأمل مكتبة الملك فهد الوطنية تطبيق ما ورد في نظام الإيداع بشكل معياري موحد ، و من هنا يتطلب تصوير الجزء الاعلى بالأبعاد المقننة نفسها خلف صفحة العنوان الداخلية للكتاب ، كما يجب طباعة الرقم الدولي المعياري ردمك مرة أخرى على الجزء السفلي الأيسر من الغلاف الخلفي الخارجي .

و ضرورة إيداع نسختين من العمل في مكتبة الملك فهد الوطنية فور الانتهاء من طباعته، بالإضافة إلى إيداع نسخة الكترونية من العمل مخزنة على قرص مدمج (CD) وشكرا ،،،

إهداء

إلى زوجتي العزيزة

أم يسن

صنو روحي

وريحانة فؤادي

رفيقة دربي

في السراء والضراء

والمحن والمنح

والجنة إن شاء الله.

طارق

مقدمة

هـي مقـالات متنوعـة كتبتهـا علـى مـدى سـنوات ممتـدة ، اشـتملت علـى دراسات نقدية في الأدب والشعر، وبعض الظواهر الاجتماعية ،كما شملت خواطر تجسّد صلاتنا ببعض من افتقدناهم.

نُشر بعض هذه المقالات في عدد من الصحف السودانية واليمنية والدولية ورأيت أن أجمعها في هذا السِّفر ؛ أرجو أن تضيف شيئا للقارئ العربي.

طارق

بين البردوني وأبي تمام

حين يجد المتلقي نفسه أمام لغة احتمالية ، قادرة على عكس معانٍ شتى بتقليبها ، عندما يجد نفسه أمام توظيف بارع للمعطيات التراثية والأسطورية والأسماء التاريخية ، عندما يجد نفسه أمام لغة رصينة تؤدي غرضه وتتكئ قليلا على مفردات عصرية، حين يجد المتلقي قصيدة تتوافر فيها كل هذه المعطيات يحس أنه أمام شاعر فحل خبر اللغة وغاص في دروبها ، واستوعب في داخله التراث والتاريخ.

نحن أمام قصيدة عظيمة لشاعر عظيم، أما القصيدة فهي (أبو تمام وعروبة اليوم) [1] التي كتبت في ديسمبر١٩٧١ ،أما الشاعر فهو الشاعر اليمني عبد الله البردوني.

تبدأ القصيدة بامتياح لقصيدة حبيب بن أوس (أبي تمام) في وقعة عمورية والتي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

ويقول البردوني:

ما أصدق السيف إن لم ينضه الكذب وأكذب السيف إن لم يصدق الغضب

بيض الصفائح أهدى حين تحملها أيد إذا غلبت يعلو بها الغلب

لا نستطيع القول إن هذه من المعارضات الشعرية التي زخر بها الشعر العربي على يد أحمد شوقي وغيره، ولكن هذا فتح شعري جديد.

السمة الغالبة في هذه القصيدة التي تمتد إلى خمسين بيتا هي سمة الرفض ، فتجد الرفض غالبا على كل المعطيات في القصيدة من رفض للنصر الخالي من الفهم الصحيح ، الممتلئ بالفهم التجاري بالبيع والمكسب (كم باعوا وكم كسبوا) من الرفض التام للعلم الذي استغله أهله في الطغيان والاغتصاب للحقوق.

بعد هذه المقدمة يدخل شاعرنا في حوار مع أبي تمام عن حال العرب، ماذا جرى يا أبا تمام تسألني؟ عفوا سأروي ولا تسأل وما السبب؟ يقول شاعرنا نتساءل كيف أن حيفا أو

---

(١) ديوان لعيني أم بلقيس .

النقب احتفت كل منهما بالأعداء ، حين نتساءل كذلك يدمى ذلك السؤال حياء وخجلا ، فنحن في عصر من الذي يلبي فيه استغاثات المظلومين ونداءات المحرومين ، فقد مضى عصر (المعتصم) ثم يورد شاعرُنا (الأفشينَ) وقد كُتب التوفيق لشاعرنا في هذا ، فالأفشين هو القائد الذي خان المعتصم ،فلم يتهاون المعتصم في عقابه ، وكان عقابه الصلب والحرق، ثم يقول شاعرنا إن علوج الروم قد عادت اليوم يا أبا تمام ،والوطن العربي مسلوب ومغتصب ، وبعد كل هذه الانهزامات ماذا كان فعلنا ؟ لقد غضبنا ، ولكن لم نصدق حين صدق التنجيم والكذب إيماء للحقيقة التي أوردها أبو تمام في فتح عمورية.

يتكئ شاعرنا على معطيات حديثه؛ فيذكر أن شهب طائرات الميراج قد أطفأت أنجم العرب وشمسهم ،فماذا فعل العرب إزاء ذلك؟ حاربوا طائرات الميراج بالخطب فقط، نلمح - هنا - عدم تكافؤ السلاح ما بين الميراج والخطب، وعدم الاستعداد ثم حاربت الأبواق والطبول دون الرجال الذين هربوا ،

ثم يواصل شاعرنا حواره مع أبي تمام ويسأله ماذا حدث؟ ماذا جرى لنا نحن العرب هل أحسابنا كذبت؟ هل نحن لا ننتسب إلى أولئك النفر القدامى من أمثال المعتصم؟ فإن عروبة اليوم ليست كعروبة الأمس لا لون لها لا اسم لها لا لقب لها ،وفي مقارنة بين عمورية والآن يقول شاعرنا إن تسعين ألفا من الرجال فتحوا عمورية ولم يرضخوا لقول المنجمين بانتظار قطاف الكرم، والآن تسعون مليونا ،ولكنهم كغثاء السيل لم ينضجوا حتى إن الزيتون والعنب قد نضجا كناية عن طول المدة.

ينتقل بنا الشاعر من الهم العام إلى الهم الخاص ، من الهموم العربية إلى الهم اليمني ويناجي أبا تمام باسمه الأصلي تقربا وتلطفا :

حبيب وافيت من صنعاء يحملني نسر وخلف ضلوعي يلهث العرب

ماذا أحدث عن صنعاء يا أبتي مليحة عاشقاها السل والجرب

لقد أتيت من صنعاء وخلفي العرب يلهثون، لكن ماذا أقول عن صنعاء؟! إنها مليحة

عاشقاها السل والجرب ، إن صنعاء ماتت بصندوق "وضاح" ذلك الشاب اليمني الوسيم الذي تحكي الرواية أن زوجة أحد الحكام أعجبت به ، وحملته معه في صندوق إلى بيتها ، ولما علم زوجها أنها تصعد كل مساء لمناجاته ، حمل الصندوق وألقى به في الماء إن صنعاء ماتت داخل الصندوق مع وضاح من غير ثمن ، لكن لم يمت في دواخلها الأمل فهنا نافذة أمل جديدة يفتحها شاعرنا أمام صنعاء.

إن صنعاء كانت تراقب موعد انبلاج فجر الانبعاث ، ثم انبعثت لكن في الحلم فقط ولم تنبعث في الحقيقة ، ثم ارتمت.

لكنها رغم شح الغيث - أي قلة الإمكانات - فإن صنعاء ما تزال حبلى بقحطان وكرب ، كناية عن رصيدها الذاخر من العروبة والأصالة والتاريخ .. ثم يدير شاعرنا حوارا بينه وبين أبي تمام ، حوار بين شاعر وشاعر ، ليس عن حال العرب ، كما كان في المقاطع السابقة:

حبيب تسأل عن حالي وكيف أنا ؟ شبّابة في شفاه الريح تنتحب

كانت بلادك رحلا ظهر ناجية أما بلادي فلا ظهر ولا غبب

إن بلادك يا أبا تمام كانت رحلا ، أما بلادي فحتى هذا الظهر لا يتوافر فيها .. وأنك سافرت وارتحلت وأضناك الرحيل ، لأن من التمس الراحة فلابد أن يسلك التعب أولا ، أما أنا فإني راحل لكن ليس كرحيلك ، راحل من غير ما سفر ، إني أقوم برحلة داخلية:

إذا امتطيت ركابا للنوى فأنا ❖❖ في داخلي أمتطي ناري وأغترب

يقول لأبي تمام إذا أنت ارتحلت على ناقة إلى النوى فهذه رحلة خارجية ملموسة فأنا أمتطي ناري في داخلي ، وأغترب في رحلة داخلية ، وهذا البيت من أجمل ما كتب في أدب الاغتراب كما يقول الدكتور الطاهر مكي في كتابه "الشعر العربي روائعه ومدخل لقراءته"

ثم يتحدث شاعرنا - في مقطع آخر - إلى أبي تمام عن انتقال الشعر من الحياة الأدبية وما جرى للشعر فيقول:

حبيب هذا صداك اليوم أنشده لكن، لماذا ترى وجهي وتكتئب ؟

يتحدث إليه : إني أقول الشعر الذي أعتبره صدى لشعرك ، ليس غريبا عنك، ولكن أتعجب حينما أراك تكتئب حين ترى وجهي، لماذا ؟! هل تعجب من شيء رغم أن سني صغير ، فإني يا أبا تمام قد ولدت عجوزا ، لماذا تتعجب ؟! كناية عن الهموم والمصائب التي حلت على شاعرنا.

وأنت يا أبا تمام قد شِبت قبل بلوغ الأربعين على نار "الحماسة" -إشارة إلى ديوان الحماسة لأبي تمام -ثم يتعرض شاعرنا إلى أبي تمام بالنقد في كيفية توظيف شعره ، فيقول له إنك كنت تستجدي بشعرك اللصوص والمجرمين المترفين والحكام الظلمة ، تستجدي منهم الهبات والهدايا وتعطيهم شعراً مقابل ذلك يستنكر شاعرنا هذا البيع الجائر ويقول له :قد ارتحلت بشعرك شرقا وغربا ، تتجول من وال إلى ملك ، دافعُك في ذلك الفقر والحاجة ، يحركك الفقر لا إرادياً ،يقودك الطلب والعوز لا شعورياً..

امتد طوافك حتى الموصل وحينها انطفأت لديك الأماني ،ولم يتحقق مقصودك وهدفك. لكن حين تنتهي حياة مجيد فذ مثلك ، فإن في ولادة غيره بعث آخر ، فبنهايته يستلم الراية آخرون ، يواصلون ما بدأه.

في خاتمة القصيدة ،وبعد أن سأل أبو تمام شاعرَنا وبعد أن سأل شاعرُنا أبا تمام يقول البردوني:

حبيب ما تزال على عينيك أسئلة تبدو وتنسى حكاياها فتنتحب

ولا تزال بحلقي ألف مبكية من رهبة البوح تستحيي وتضطرب

إني أعلم أن بداخلك أسئلة كثيرة لم تقلها ، كما أن بداخلي عددًا من المبكيات والأحزان تستحيي من الظهور ،وأنا أستحيي من البوح بها.

وأقل هذه المبكيات أن أعداءنا أهدروا دمنا ، ونحن نحسو من دمنا هذا الذي أهدره أعداؤنا .. وإن سحائب الغزو تحجب لدينا الرؤية ، ثم يقول إن هذه السحب في يوم ما ستحبل من كثرة تهديداتنا ، والظلم الذي في دواخلنا .. وتأكيدا لهذا المعنى يختتم قصيدته بشطر من قصيدة أبي تمام "إن السماء ترجى حين تحتجب."

صاغ شاعرنا قصيدته على روي قصيدة أبي تمام نفسه "الباء" وعلى البحر نفسه "البسيط" ، هذا قد يُدخلها في باب المعارضات شكلا ، لكن إذا سبرنا أغوار المضمون ، أقام شاعرنا حوارا راقيا بينه وبين أبي تمام ، يسأل هو مرة ، ويسأل أبو تمام مرة أخرى ،وإذا وضعنا العلاقة الكائنة بين قصيدتي (فتح عمورية) و (أبو تمام وعروبة اليوم)في إطار المعارضات الشعرية فإن في ذلك ظلما كبيرا على شاعرنا وعلى قصيدته.

نلمح في القصيدة بعدا دراميا حواريا جميلاً يقلب شاعرنا أبياته بين قائل ومستمع ، وبين سائل ومجيب ، مما يطرد الملل الذي لا يجد سبيلا للتسرب إلى القارئ من هذه القصيدة.

في القصيدة بُعدان : بُعد سطحي يفهمه القارئ من القراءة الأولى . وبُعد عميق آخر يفهمه القارئ بعد القراءة المتأنية .. فكما ذكرت في مطلع حديثي إن اللغة عند عبد الله البردوني احتمالية ، فكل كلمة تحمل أكثر من معنى ، يمكن حملها على المعنى البسيط ويمكن حملها على المعنى الداخلي ، وهذا ما قصده شاعرنا.

في القصيدة توظيف جيد للتراث والتاريخ والأساطير ؛ مما منح القصيدة القوة والتنويع والجودة ،فقد عاد شاعرنا إلى (المعتصم) كمثال للقائد الشجاع الذي لبى نداء امرأة انتهكت كرامتها ، وكمثال للإقدام وعدم التراجع ،حينما لم يحفل بتحذير المنجمين ، ثم يذكر (حيدر الأفشين) ذلك الخائن الذي أسلمه المعتصم قيادة الجيش فخان خليفته ،ثم يذكر (المثنى) و (بابك الخرمي) .. ثم توظيف الأسطورة في قصة (وضاح) اليمن وهي حقيقة بها جزء من الأسطورة .. ثم قحطان وكرب ؛وتمثيلا للشعر يذكر ديوان الحماسة لأبي تمام.

السمة الغالية في هذه القصيدة هي الرفض والتمرد - كما أسلفنا - على الأوضاع المتردية والهوة السحيقة التي زلت فيها الهمم .

مضت القصيدة بقوة في جميع أبياتها ، دون أن يعتريها الضعف ، في أي جزء من أجزائها ..فكثيرا ما نلاحظ شعراء كبارا يبدؤون قصائدهم بإيقاع قوي ثم تهوي قصائدهم عند منتصفها أو آخرها . لا يستطيعون الحفاظ على قوة القصيدة.

استطاع البردوني – بقدرته وذكائه وامتياحه من التراث والأسطورة وتوظيفه ذلك من

ذخيرته اللغوية الوفيرة وبانتقائه الجيد الموفق لكل كلمة لتؤدي معناها – استطاع أن يحافظ على إيقاع القصيدة والنأي بها عن الضعف والتفاوت.

تزخر القصيدة بالصور البلاغية والأسلوبية والشعرية في كل أجزائها مثل (كيف احتفت بالعدى حيفا أو النقب) (تحدت نارها الخطب) (العدم المنفوخ) (يفرشون لجيش الغزو أعينهم) .. وغيرها كثير، ثم الصياغة الناجحة للأفعال التي على وزن افتعل وتفتعل مثل اغتصبوا ، تعتجب ، تلتهب ... وغيرها.

وهناك ما يسمى بالصورة الممتدة التي لا تقنع بأن يستوعبها بيت واحد وإنما تمتد لتشتمل أبياتا كثيرة كما ذكر الدكتور : الطاهر أحمد مكي أستاذ الأدب بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة - ويمثلها في القصيدة تلك القطعة عن اليمن فقد اشتملت الصور الممتدة ستة أبيات.[1]

(١) د الطاهر مكي ، الشعر العربي : روائعه ومدخل لقراءته.

دراسة مقارنة بين قصيدتين في رثاء الولد

تنوعت أغراض الشعر العربي القديم ، ما بين مدح وفخر وهجاء ورثاء ، ويعدّ الرثاء من أهم أغراض الشعر ،وقد برع فيه العرب ؛إذ قيل للأعرابي : ما بال مراثيكم أصدق ما تقولون ؟ قال : لأننا نقول وأكبادنا تتقطع.

فقدُ القريب أو الحبيب أمر محزن ، فكيف إن كان المفقود ابنا ، فلذة من فلذات الأكباد ، فقد قيل للأعرابي ما تقول في موت الولد؟ قال : صدع في الفؤاد لا ينجبر أبدا.

نتناول في هذا المقال موازنة بين نصين في الرثاء وتحديدا في رثاء الولد ، النص الأول لابن الرومي الشاعر العباسي المعروف ، والنص الثاني للشاعر السعودي محمد عمر توفيق.

تباينت رؤية كلا الشاعرين لفقد الولد ، فكان القبول و الرضا عند محمد عمر توفيق ؛ إذ يراه قضاء وقدرا مسطرا منذ الأزل :

تاريخها المسطور من أحرف قد مزجت من كل حيّ بدم

وعند ابن الرومي يظهر الجزع والحزن والتسخط :

توخى حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقد

يخاطب ابن الرومي –في قصيدته -عينيه:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركما عندي

ويرى أن البكاء يريحه قليلا ، لكنه لا يجدي ،ويشبّه ابنه بعينيه، فهو نظيرهما ، لكن محمد عمر توفيق يخاطب ابنه المتوفى:

أحسنت يا بني فالحياة التي فارقتها موّارة بالألم

فكرة ابن الرومي أن الموت أدى إلى شدة معاناته ؛ لأنه طوى ابنه ، وجعله بعيدا رغم قربه:

طواه الردى عني فأضحى مزاره بعيدا على قرب قريبا على بعد

ويرى أن المنايا أنجزت وعيدها بأخذ ابنه ، أما الآمال فقد أخلفت الوعد ببقاء ابنه!!!

أما محمد عمر توفيق؛ فيرى أن الموت راحة لابنه ، رغم أنه معاناة للأب ، ويرى أن الموت

خير لابنه ؛ لأنه رحمة عليه ، لأنه ما ظلم وما جنى:

فإنه الرحمة في عقله على وليد ما جنى وما ظلم

برز الحزن بشدة لدى ابن الرومي ، ووصل به إلى درجة العجب ، كيف تحمّل قلبه ذلك الحزن:

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلد

أما محمد عمر توفيق ، فقد نظر نظرة واقعية ؛إذ وجد في الموت راحة لابنه.

أكثرَ ابن الرومي من ذكر الموت ومرادفاته : المنايا ، حمام الموت ، الرّدى، أما محمد عمر توفيق فقد ذكر : الآجال ، الموت.

اشترك الشاعران في إيراد كلمة معبّرة ، وهي "طواه" عند ابن الرومي ، و" طوتك" عند محمد عمر توفيق.

الصور الشعرية كثيرة في النصين ، وهي أكثر لدى ابن الرومي ، ومن أمثلة ذلك: تشبيهه لابنه بعينيه ، والاستعارة في "طواه الردى" و"أنجزت فيه المنايا وعيدها"

أما من نماذج الصور لدى محمد عمر توفيق تشبيهه الموت بالرحمة ، والاستعارة في " طوتك" ، والتشبيه في البيت الرابع:

ما أسعد السالم منها إذا مرّ مرّ بها كالطيف أو كالنغم

ورد الطباق لدى ابن الرومي في "بعيدا ، قريبا" ، " بُعد ، قُرب" ، " أنجزت ،خلفت"، "وعيدها ، وعدها " ؛ مما أدى إلى إبراز المعنى ووضوحه ،

كما ورد الجناس "تساقطُ ، تساقطَ."

أما الطباق عند محمد عمر ،فقد حشده في البيت الأخير :"رضا ، قلى" ، "وصل ، هجر " ،"لا ، نعم."

كثر استخدام الأسلوب الخبري ،وكان ذلك مناسبا ؛ لأنه يخبر عن المشاعر وعاطفة الحزن لفقد الولد ، ومن نماذج الخبر عند ابن الرومي:" ألحّ عليه النزف"، "توخى حمام

الموت""طـواه الـردى..."

ومن نماذج الأسلوب الخبري لدى محمد عمر توفيق: "وودت لو أسـرعت" ، "لـكنهـا الآجـال موصدة"، "فإنه الرحمة " ، وأتـى الإنشـاء غير الطلبي "التعجب" في قولـه : مـا أسـعد السـالم!

مما سبق نجد أنهما نصان تناولا غرضا واحدا، وهو رثاء الولد ، اختلفت رؤيتهمـا لفقـد الولد ، ما بين جزع وحزن وتسخط لـدى ابـن الرومـي ،وقبـول ورضـا لـدى محمـد عمـر توفيـق الذي يرى أن ابنه انتقل من دار موّارة بالألم - كما قال -إلى دار البقاء والخلود.

قراءة في قصيدة عم عبدالرحيم

محمد الحسن سالم حميد ، من شعراء الأرض ، شأنه في ذلك شأن الشاعر محمد بادي الذي يقول عن نفسه إنه شاعر "ترابالي""فلاح" تجسيدا للانتماء للأرض.

نشأ حميد في "نوري" ثم انتقل إلى عطبرة ثم بورتسودان،"نوري" أعطته التصاقا بالأرض ، قربا من قضايا الفلاحين ومعاناتهم ،تمسكا بالجروف والتراب والسواقي، أما عطبرة وبورتسودان فمدينتان اتصل فيهما بالعمال وعرف معاناتهم عن قرب ، العمال في السكة حديد عطبرة والميناء بورتسودان.

ثم ذاق الغربة وعرف طعمها وعايش معاناتها عندما سافر إلى المملكة العربية السعودية ،كأنه بهذا الارتحال أراد أن يُنضِج تجربته وأن تتجسد في شعره ملامسة الواقع ؛ استكمالا لدوافع الإبداع لديه ؛ ليكون صوتا معبرا عن كل شرائح الشعب السوداني.

قصيدة "عم عبدالرحيمّ –موضوع الدراسة -من القصائد التي توافرت لها كل عناصر العمل الفني الناجح.، شاعر مبدع ، ملحن مميز، مغنّ مدهش.

يمكن تصنيف قصيدة "عم عبدالرحيم" ضمن الشعر القصصي ،الذي أول من أبدعه عمر ابن أبي ربيعة في العصر الأموي.

أحسنَ حميد حينما أعطى القصيدة لمصطفى سيد أحمد ، ذلك الصوت الذي عبّر عن آلام الغلابة، وصار لسان كل موجوع، وصوت كل مفجوع؛ إذ تمكّن مصطفى من إعطاء معاني القصيدة إيحاءاتها وظلالها الحقيقية كما أراد حميد.

القصيدة عبارة عن قصة كفاح يومية ومسيرة نضال مستمرة لأسرة فقيرة ، تبدأ الأحداث برجل سوداني متوكل على الله:

فتاح يا عليم

رزاق يا كريم

صلى على عجل

حصن للعباد

هوزز سبحته [1]

دنقر للتراب [2]

همهم همهمة [3]

يحمل معه معاناته اليومية فالهموم متراكمات عليه :

هم فوق هم هما[4]

اختار حميد لبطل قصيدته القصة اسم "عبدالرحيم" وهو اسم صعب موسيقيا ؛لأنه يتكون من مقطعين، لكن حميد تمكن من تطويعه بمهارة.

بدأت القصيدة "القصة" بإشارات سريعة تجسّد البرنامج اليومي:

الصلاة، الأذكار، الطلبات الصباحية .الخروج للعمل....

يبرز فيها الجناس الرائع الرائق بين "همهم همهمة" وبين "هم فوق هم هما" ؛ مما أدى لتحفيز المتلقي للاستعداد للأحداث القادمة ،وللجمال الذي سوف يتدفق ، وللروعة التي سوف تنداح.

تشير القصة إلى أن زوجة عبدالرحيم لم تصبّح عليه ،ولم تكلمه صباحا وكان أمرا مستغربا :

لا قالتلو كيف

كيف أصبحت كيف

لا لمسة حنان ، لا لمسة وداد

---

(١) "حرّك مسبحته".
(٢) "انحنى"همهم همهمة.
(٣) حرك شفتيه بصوت منخفض"
(٤) "هموم متراكمات"

لا رمشة طريف

لكن تزول الدهشة ، حين نقرأ المقطع التالي أو المشهد التالي:

كانت ماها في [1]

كانت في المراح

شدتلو الحمار [2]

تحلب في الغنم لي شاي الصباح

والطير ما نضم ، ما رسّل نغم [3]

تقوم بمهمتها في خدمة زوجها ، صباحا باكرا قبل غدو الطيور، فهي تغتدي والطير في وكناتها.

ذكّرته بطلباتها المنزلية اليومية ، وذكرت له طلبا خاصا بها :

قالتلو النعال والطِّرِق انهرن الحذاء والثوب تقطعا

ما قالتلو جيب [4]

شيلن يا الحبيب [5]

غشهن النقلتي والترزي القريب [6]

لم تطلب ثوبا جديدا ولا حذاء آخر ،وإنما طلبت إصلاحها ؛ لأنها تعرف ظروفه وحاله، وهنا تتجلى قمة الرحمة الزوجية ،

(وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) [7]

---

(١) "لم تكن موجودة"
(٢) جهزت له
(٣) لم يصدح
(٤) لم تقل له اشتر لي جديدا
(٥) خذها
(٦) من يصلّح الأحذية
(٧) سورة الروم : الآية ٢١.

هنا شخّصت زوجته المشكلة " النعال والطرق انهرن" ، وحددت الحل "غشهن النقلتي والترزي القريب" هنا قمة القيادة المنزلية كما قال ستيفن كوفي :

"إذا نقلت المشكلة إلى مديرك ، فأنت مراسل، وإذا نقلتها مع اقتراح بحلها، فأنت مستشار، أما إذا نقلتها وقد بادرت في حلها، فانت قائد". [1]

هنا يكمن ملمح بلاغي رائع جسّده حميد في هذا المشهد وهو ما يسمى في البلاغة اللف والنشر ، ومعناه أن تجمع أمرين بآخرين ، الأول له علاقة بالأول والثاني له علاقة بالثاني ، ولهذا شاهد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

(ومِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[2]

الليل لتسكنوا ، والنهار لتبتغوا

ومن شواهده في الشعر قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسًا ... "لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه قلوب الطير الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف البالي .

هنا في قصيدتنا ربط الشاعر بين :

النعال " النقلتي – الطرق "الترزي"

لكن الزوج الكريم لم يوافق على حل زوجته النبيلة الأصيلة؛ لأنه يعرف أن إصلاح الثوب والحذاء لن يجدي ؛لكثرة ما تم ذلك من قبل .

فقال :

طقّهن ما بفيد [3]

انطقن زمن [4]

---

١) ستيفن كوفي ، العادات السبع الأكثر فعالية .
٢) سورة القصص : الآية ٧٣.
٣) إصلاحها لا يجدي
٤) لقد أصلحت مرارا

وإن طقّ الزمن

لازمك توب جديد [1]

هنا دهشة بلاغية جديدة من حميد ، تتمثل في الجناس بين :إنطقن" بمعنى تم إصلاحها كثيرا وتكرارا ومرارا ، و"إن طقّ" أي مهما طال الزمن .

برّر عم عبدالرحيم حاجة زوجته لثوب وحذاء جديدين بخشيته على زوجته النبيلة من الحرج أمام صويحباتها وجاراتها ، فبادلها نبلا بنبل:

عشان يا أم الرحوم ما تنكسفي يوم

لو جاراتنا جن

مارقات لي صفاح [2]

أو بيريك نجاح [3]

ثم لخّص الدنيا كلها في أنها تتراوح بين أمرين ، وتتأرجح بين حالين:

إيه الدنيا غير ؟

لمة ناس في خير

أو ساعة حزن

فالدنيا بين فرح وترح، سعادة وحزن، نعيم وشقاء...

تتجلى الموسيقا التصويرية في أداء مصطفى سيد أحمد للقصيدة ، مثال على ذلك ، حينما أورد مشهد ركوب عم عبدالرحيم وحثه لحماره على السرعة:

نقرط للحمار[4]

---

١) يلزمك
٢) خارجات لحضور زواج
٣) مباركة
٤) صوت يُصدَر لتحريك الحمار

هنا يصدر الصوت الذي يحث الحمار على السرعة.

كذلك حينما ذكر :

مرة العسكري كسار الجبور

تتجلى الموسيقا التصويرية في صوت التكسير فعلا .

ركب عم عبدالرحيم حماره ، وخرج طالبا رزقه، وظهرت الأماني المستحيلة

ياريت التمر

يا ريت لو يشيل

كل تلات أشر [1]

ولا أيام زمان كانت ما تمرّ

يبرز الجناس الرائع بين تمر و تمرّ

وتبرز النوايا الحسنة لو تحققت الأماني المستحيلة:

كان ما جاك هوان

ما لاقاك ضر

كان أكسيك در

خرج عم عبدالرحيم وذهب صوب "المشرع" الموقف ، نقطة التجمع على الشاطئ، وهناك وجد:

زملان الشقا

الجا من الجريف

---

١) كل ثلاثة أشهر

الجا من الجبل

من كل حدب وصوب ينسلون ، وبادلهم تحية بتحية ، ومزاحا بمزاح:

صبّح هاظرهم [1]

نقنق ناقرهم [2]

غاظوه نعل

لكن روحهم طيبة وما يجمعهم أكثر مما يفرقهم، لا يغضبون :

عم عبدالرحيم ما بخبر زعل [3]

كل الناس هنا ما بتخبر زعل

لأنه لا مبرر للزعل:

تزعل من منو

وتزعل في شنو

بينهم رابطة قوية ، فهم أصحاب بل أهل ، فقد قرّب العمل من شطّ به المكان ؛ فهو رابطة معنوية قوية.

ثم يسرح عم عبدالرحيم ، الحر وليس الحر!!!، وهو على ظهر حماره :

والبال اشتغل

البال اشتعل

جناس قمة في الروعة أعطى الكلمات جرسا موسيقيا وأبرز معاني خفية مجسدا الحالة النفسية لعم عبدالرحيم وصراعه الداخلي.

---

(١) مازحهم
(٢) تناقش معهم
(٣) لا يغضب

ثم يأخذنا إلى الحلقة الشريرة والدائرة الجهنمية التي تتأرجح البلاد بينها منذ الاستقلال:

حيكومات تجي وحيكومات تغور

مرة العسكري كسار الجبور

ويوم باسم النبي تحكمك القبور

والناس بين موقفين:

إما تقول بري

أو تحرق بخور

إما أن تقول "بري" ، وما أكثر من قالها ! واعتزل وغادر وهاجر ، وإما أن تحرق بخور ،وتداهن وتتملق ، وما أكثر من فعلها!!

ثم يلفت شاعر الأرض إلى الأرض :

وأرضك راقدي بور

لا تيراب وصل

لا بابور يدور

ذلك عن الفلاح ومأساته، أما الموظف فليس بأحسن حال:

والماهية أف

عيشة هاك وكف

لا تبقى في الجيب ،ولكن تختطف منه بمجرد أن يستلمها "هاك وكف"

والغلاء الطاحن الذي لم يستطع مجاراته فرمز إليه :

والسوق فيك يسوق

بلاغة متناهية جسدتها الاستعارة المكنية ؛حين جعل السوق كائنا حيّا قادرا على أن يسوق المواطن ، والمواطن لا حيلة له ينساق رغما عن أنفه.

ثم تأتي المقارنة الإيمانية المرضية المقنعة المسلية للنفس متدثرة في المفارقة التصويرية ، فأنت يا عم عبدالرحيم مهما ساءت ظروفك :

إلا كمان في ناس فايتاك بالصبر

ساكنين بالإجار

لا طين لا تمر

واحدين بالإجار ما لاقين جحر

وذلك تأسيا بالهدي النبوي الشريف:

(انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم) [1]

ثم يفصّلهم لنا :

عمال المدن

كلات الموانى [2]

الغبش التعاني [3]

بحارة السفن

(١) مسلم (شرح النووي)٩٧/١٨
(٢) العامل الذي يحمل الأمتعة في الميناء
(٣) الفقراء الذين يعانون

حشاشة القصور

لقاطة القطن [1]

والشغلانتو نار والجو كيف سخن [2]

يتماوج اللحن ليميز المعاني ويوضح الفروقات بين المشاهد، فبعد أن كان اللحن حزينا هادئا في وصف حالة الفقر المستشري :

ناسا عشيها دين

مجرورة وتجر

تكدح بالأجر

ومرة بلا أجر

عيشهن كمه

وديشهن هان قدر[3]

يتغير اللحن ليكون راقصا طربيا في وصف الطرف الآخر وبيان حال المعادل الموضوعي :

وناسا حالها زين

مصنع مصنعين

طين في طين

ما مرابا مر

بارد همهم

---

(١) من يعملون في حصاد القطن

(٢) والذين يعملون في مهن شاقة

(٣) جيشهم

لا بيعرق جبين

لا وشن يصر [1]

ثم يموت عم عبدالرحيم - أو يغتال -إن شئت، يموت عبدالرحيم الفقير ، فالفقر عند حميد أشبه بالكفر ، يموت سارحا بخياله مشغول البال مشتعل البال، محاولا تفادي سيارة الشرطة ليقع فريسة لعجلات القطار ، كالمستجير من الرمضاء بالنار ،ثم:

سال الدم مطر

ليس كالمطر وإنما هو مطر ؛ لكثرته ، وهو من نوع التشبيه البليغ الذي يحذف أداة التشبيه ؛ ليجعل المشبه مشبها به حقيقة ، ليس مثله.

جفل الحمار هربا من سيارة الشرطة ووقع مثل الحجر بعيدا :

طوّح زي حجر

وصف حميد عم عبد الرحيم بطل القصة بأنه:

عم عبدالرحيم يا كمّين بشر [2]

أي رجل أمة ، اجتمعت فيه خصال البشرية فهو رمزٌ لها جمعاء.

ثم يختم حميد رائعته كما بدأها :

فتاح يا عليم

رزاق يا كريم

وتنتهي جدلية الفقر والكفاح واظلم واتساع الفجوة بين أفراد المجتمع.

---

(١) مجموعة

(٢) لا يعبس وجه لهم كناية عن الغنى وراحة البال

مفاهيم حول الشعر

الشعر في تعريفه القديم هو الكلام الموزون المقفى ، فقد اعتمد هذا التعريف على ركنين أساسيين من أركان الشعر وهما الوزن والقافية ،ويفرق التعريف بين نوعي التعبير الإنساني أو الصناعتين كما أسماهما أبو هلال العسكري :الشعر والنثر، لكن الشعر يتعدى ذلك ويشتمل على عدة مقومات وأركان .

الشعر أرقى أنواع التعبير الإبداعي الإنساني ؛لأن قائله يتمتع بالقدرة على التعبير وإن تساوى الناس في الإحساس .

اختلف النقاد حول البواعث الفنية التي تدفع بالمبدع للإبداع ؛ فردّها علماء النفس المحدثون لنزعة التعبير عمّا في النفس الإنسانية ؛ لأن الإنسان بطبعه مفطور على التعبير سواء في لوحة أو قصيدة أو رواية ...

الإحساس ظاهرة مشتركة ، لكن تميز الشاعر يكون في عمق التعبير لا في عمق الإحساس كما يقول الشاعر صلاح عبد الصبور.

القصيدة نتاج لتجربة علقت في ذهن الشاعر ؛ فهي تخرج إلى حيّز الوجود بعد مرورها بمراحل توليد متعددة ، وكما قال الشاعر كجراي : إن أصعب ميلاد هو ميلاد الحروف.

هذه الصعوبة تنبع من المعاناة التي يمر بها الشاعر ، وكما يقولون إن المعاناة تولد الإبداع ، لكن الأديب الطيب صالح يقول : "إن المعاناة في الحياة يخرج عنها أدب ، لكن يجب ألا تتعدى المعاناة حدا تصبح فيه غير محتملة، وإذا بلغت المعاناة حد المحنة ، فإن المحنة تصبح غير قادرة على إنتاج الإبداع "

تبعا لتغير نمط الحياة وتغير حالة الشاعر والمتلقي فقد تنوعت قوالب الشعر بدءا بالشعر العمودي الذي يلتزم بالبيت الشعري والقافية والرويّ ، إلى شعر الموشحات في الأندلس مرورا بالشعر المرسل وليس انتهاء بالشعر الحر وقصيدة التفعيلة القائمة على نظام السطر الشعري.

كما تغير قالب القصيدة فقد تغيرت أيضا عناصرها ، فقد ثار أبونواس على المقدمة الطللية المكررة في الشعر القديم ، قائلا:

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضر لو كان جلس

وفي ذلك تعريض ببيت امرئ القيس أطلال:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وبمن كان يبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال من الشعراء.

وشطّ أبونواس بعيدا حين طالب بوضع مقدمة أخرى، وهي وصف الخمر:

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

دراسة الشاعر مثل دراسة الشعر ؛ إذ يرى بعض النقاد أن معرفة الدارس بالسيرة الذاتية للشاعر تعين على عمق المعرفة بتجربة الشاعر وشعره ، ونجد كثيرا من الكتب النقدية عنونت بهذا المضمون :"ابن الرومي حياته وشعره" و"امرؤ القيس حياته وشعره" ...

سؤال آخر ظل ملحا على النقاد وهو: هل ثمة ما هو شعري وغير شعري؟ في الموضوعات ، وفي المفردات والتعبيرات؟

الكلمة الشعرية تختلف عن الكلمة المعجمية ؛ إذ تحتمل إيحاءات وظلال تمتد لتجعلها تستوعب معاني عدة .

لكن بعض النقاد يرون خلاف ذلك ؛ إذ يحكمون على الكلمة بأنها شعرية أو غير شعرية إذا تناسبت مع بقية الكلمات وكانت معبرة في نسيج السياق الكلامي.

ويبقى الشعر مؤثرا ومعبرا ومترجما وحاملا للريادة والسبق متقدما على جميع أنواع التعبير الكلامي .

مأساة أوديب بين الأسطورة والأدب

تحكي الأسطورة اليونانية عن ملك أتاه عرّاف ذات يوم ،وقال له :إنك ستنجب ولدا ،وسيقتلك ،وسيتزوج زوجتك التي هي أمه.

منذ ذلك الوقت فارق الملك فراش زوجته خوفا من الإنجاب، وهروبا من تحقُّق النبوة،أحست زوجته "جوكستة" بزوجها يتجنب فراش الزوجية، فتربصت به ذات يوم وسقته خمرا فشرب حتى ثمل ،ثم استدرجته إلى فراشها فكانت النتيجة أن حملت الزوجة ابنا، انزعج الزوج الملك، لقدوم هذا المولود غير المنتظر ، فقرر التخلص منه ؛ إذ طلب من راعٍ يعمل معه أن يأخذ الولد معه إلى الجبل ، بعد أن ربط قدمَي الطفل وشد وثاقه ،حتى تورمتا ،من هنا جاءت تسمية الولد "أوديب" ومعناه بالإغريقية ذو القدمين المتورمتين ،أخذ الراعي معه الطفل أوديب إلى الجبل لينفذ أمر الملك ويقتله ، لكن رقّ الراعي لحال الطفل البريء ،فأعطاه لراع آخر يعمل مع ملك آخر ، ليتخذه ولدا لأنه لم ينجب.

ارتحل الطفل أوديب مع الراعي الثاني إلى الملك الآخر ،الذي كفله برعايته وعنايته وأحسن تربيته ، هو وزوجته ،نشأ أوديب وكبر معهما وظن أنهما والداه ، بعد فترة تداعت بعض الأحداث التي غرست الشك في أوديب أنه ليس ابنهما ،وكان قراره بالفراق عنهما ، وفعلا غادرهما وغادر مملكتهما إلى مملكة "طيبة" التي يحكمها والده الحقيقي،وهو لا يدري.

في الطريق وصل عند شعب جبل ،قابله موكب لأحد الملوك، وكانت أولوية المرور لأوديب حسب سبقه مكانيا وزمانيا، لكن موكب الملك أصر على المرور قبله ، وحدث بينهما شجار تطور إلى قتال ، حتى قتل منهم عددا كبيرا من بينهم الملك نفسه "والده"

واصل سيره وسمع في الطريق أن حيوانا رأسه رأس إنسان وجسمه جسم أسد يسمى "أبا الهول" يقف على مدخل مملكة طيبة ، ويطرح سؤالا على كل الداخلين وإن لم يعرف الإجابة

كان مصيره القتل ،ولم يظفر أحد بالإجابة، يقول السؤال : ما الحيوان الذي يمشي في الصباح على أربع والنهار على اثنتين وبالليل على ثلاث.

كان أوديب ممن اشتهر بالذكاء ،فأجاب مباشرة : هو الإنسان، الصبح أي فترة الطفولة عندما يحبو على أربع، والظهر أي الشباب ،والليل أي عند الكبر رجلاه وعكاز.

خلّص أوديب المملكة من خطر أبي الهول ،الذي مات في الحال ، بعد تمكّن أوديب من إجابة السؤال وحل المشكلة .

كان الملك قد أعد جائزة لمن يجيب عن السؤال، ويخلص المملكة من الكرب ، كانت الجائزة هي أنه يتنازل له عن العرش ويزوجه زوجته.

دخل أوديب منتصرا ظافرا بالحل وبالعرش، وبالزوجة التي تزوجها وعاش معها سنوات أنجب منها طفلين.

لم يمض أوديب في تولي الحكم كثيرا حتى أصاب المملكة طاعون فتك بالناس ، احتار الناس في سبب الطاعون وكيفية التخلص منه ، ذهب الكهنة يستجدون الآلهة ، وأخيرا توصلوا لسبب الطاعون ، وهو أن الآلهة غضبى " لأن هناك معصية كبرى اقترفها أحد الناس ، فهنا في المملكة من قتل أباه وتزوج أمه ، لذا كان الطاعون عقابا لأهل المملكة بسبب هذه المعصية لأنهم سمحوا بحدوثها، ولن تتعافى المملكة من الطاعون إلا بعد الأخذ بيد المجرم ، تحمس أوديب لهذه الفكرة وبدأ في البحث عن الجاني ، وهو على استعداد لتخليص المملكة من المجرم مهما كان، حتى لو كنت أنا .

كان الكاهن الأعمى "ترسياس " يعلم أمر أوديب ،وأنه هو المقصود بذلك، وهو من عاشر أمه وأنجب منها طفلين هما ابناه وأخواه في الوقت نفسه!!

كان ترسياس يلمّح لأوديب بذلك، ولم يصرح ، هنا انتاب الشك أوديب، وما زال الشك مسيطرا على أوديب ، إلى أن جاء الراعي الذي حمله للملك الثاني ،ينعي لأوديب وفاة الملك

،قائلا له : إن أباك توفي والناس هناك يريدونك لتحكم مكانه، هنا استبشر أوديب وارتاحت نفسه قليلا ، إذن الذي توفي الآن هو أبوه ، وليس الذي قتله عند شعب الجبل، هنا بدأ ترسياس يكشف تلميحاته ، ويضغط على الراعي الأول والثاني ، ، هنا اعترفا بالحقيقة ، وتبين أن أوديب سبب عقوبة الآلهة ، فهو من قتل أباه وتزوج أمه –ولم يكن يدري - وجلب الطاعون للناس -ولم يكن يدري -، وطالب بعقاب المجرم –ولم يكن يدري.

هنا عاقب أوديب نفسه ؛ إذ فقأ عينيه، حسرة وألما على وضعه المشين، فجأة سمع الجميع صرخة تأتي من الداخل كان مصدرها "جوكستة أمه وزوجته ،قد انتحرت بشنق نفسها عندما سمعت الحقيقة.

إذن تلك كانت نبوءة العراف ، تحققت شيئا فشيئا؛ إذ قتل أوديب أباه وتزوج أمه!

تلك إذن قصة أوديب ، كما ترويها الأسطورة اليونانية ، لكن تحولت من الأسطورة إلى الأدب على يد الكاتب اليوناني سوفوكليس الذي يشكل مع اسخيليوس ويوريبيدس مثلث المسرح اليوناني .

"لم يضف سوفوكليس شيئا على أحداث الأسطورة ، وإنما تناولها بأسلوب أدبي متميز وتقنية فنية عالية ؛مما أدهش الجميع في مسرحيته التي أسماها "الملك أوديب".(١)

صعوبة الأمر -لدى سوفوكليس - تكمن في أن الأحداث كانت معلومة للمتلقي ،وختام القصة معروف ،إذ لا شيء يدعو إلى الدهشة والتشويق وترقّب النهايات لدى المتلقي ، هنا تميز سوفوكليس لأنه نقل أحداثا عادية وجعلها غير عادية ،هنا مكمن الجودة حينما يناقش الكاتب أحداثا خالدة في ذهن الجمهور مع ذلك يحس الجمهور بالمتعة.

كان سوفوكليس -كما أسلفت - أول من نقل قصة أوديب من الأسطورة للأدب ، ثم تلاه كثيرون وكان هو المظلة التي استظل بها الآخرون لكنهم لم يتفوقوا عليه.

(١) مأساة أوديب بين سوفوكليس وتوفيق الحكيم ،محمود الربيعي .

من هؤلاء الكتاب ما يربو على عشرة من الفرنسيين ، وفي عالمنا العربي كان أبرز من تناولها هو توفيق الحكيم ، في مسرحيته "أوديب ملكا" ثم علي أحمد باكثير ، وعلي سالم وغيرهم.

لكنهم جميعا استفادوا من سوفوكليس حتى أن توفيق الحكيم نفسه يعترف بأنه استفاد منه ، وأنه لم يكن قادرا على الإضافة على سوفوكليس وإنما كان غرضه نقل المسرحية للقارئ العربي." -"

دخلت الأسطورة مجال الدراسات النفسية و الاجتماعية والإنسانية ،وكانت هي الأساس في تأطير نظرية عقدة أوديب ، ومضمونها أن يشتهي الابن أمه استنادا إلى معاشرة أوديب لأمه.

كما كان أوديب لعبة في يد الأحداث إذ تمضي به يمنة ويسرة منذ قبل ولادته إلى أن فقأ عينيه.

من أبرز عناصر المسرح اليوناني ما يعرف بـ"الجوقة" وهي مجموعة من الأصوات لا يظهر أصحابها على خشبة المسرح ، إذ يسمع الجمهور الأصوات فقط، تمثل الجوقة في المسرح اليوناني ما يسمى الآن في العصر الحديث بالرأي العام ،فالجوقة تقف إلى جانب الشعب وتنحاز إليه ، وتردد بعض أقوال الشخصيات أثناء الحوار، وتعلق على بعض الأحداث لكنها لا تنشئ حوارا.

مما أخذ على المسرحية هي تجسيد بعض مشاهد العنف على المسرح ، فقد اختلف النقاد في ذلك ، فرأى بعضهم أن في ذلك قسوة على الجمهور وخدشًا للذوق العام حين يشاهد القتل والدم أمامه ،بما يتنافى مع هدف أساسي من أهداف المسرح وهو التطهير، ومعناه الحالة التي يصل إليها الجمهور في ختام العرض ، ورأى هؤلاء النقاد أنه يمكن أن تصل أحداث العنف للجمهور عن طريق الإخبار بواسطة إحدى الشخصيات أي فلان انتحر، حرب حدثت ...

فريق آخر يرى إمكانية تجسيد مشاهد العنف على المسرح كما حدث في عدة مسرحيات.

أما مسرحية سوفوكليس فلم يتم فيها تجسيد مشاهد العنف - ما عدا المشهد الذي فقأ فيه أوديب عينيه -إذ يلحظ الجمهور أن انتحار جوكستة وصلهم عبر الصوت وحوار الجمهور، ولم يشاهدوه، من المعلوم أن الأساطير من الأشياء التي يختزنها العقل الجمعي للشعوب ، وأسطورة أوديب قد خلدت في العقل الجمعي لشعوب العالم كله، بعد أن كانت لدى اليونانيين فقط.

لم تكن أسطورة أوديب رغم ثرائها أن تصل لهذه الشهرة والمعرفة لولا سوفوكليس الذي تجاوز بها المجال الأسطوري إلى المجال الأدبي.

الماغوط ومحمد نعيم في "المهرّج"

إذا التقى الكاتب السوري محمد الماغوط والمخرج السوداني محمد نعيم في عمل فلابد أن تنتظر الدهشة ،ولابد أن تتوقع الجمال والإبهار .

ذلك الذي حدث في مسرحية المهرج ؛ تمت سودنة المسرحية، وأبدع فيها أعضاء فرقة الأصدقاء ، ورغم طول المدة الفاصلة بين زمن التأليف و تمثيل المسرحية ،لكنها تحمل في داخلها عناصر التجدد التي جعلتها صالحة لكل زمان ومكان.

التطهير من أهم أهداف العمل المسرحي عموما ؛ ومعناه أن الحالة النفسية وربما السلوكية التي دخل بها المتفرج دار العرض ينبغي أن تتحول وتكون مغايرة للحالة التي صار عليها عند خروجه بعد مشاهدة العرض ؛إذ تتخلص نفسه من الصفات الرذيلة التي نفّرت منها المسرحية.

تتماوج أمام ناظري من يشاهد مسرحية المهرج خطوط كثيرة أبرزها خط السخرية اللاذعة الذي تضج به مشاهد المسرحية ؛ إذ تفوح رائحة السخرية من أفواه الممثلين ومن حوارهم المنساب كنهر النيل .

بنية المسرحية الفنية تشبه رواية "عمر يظهر في القدس" لنجيب الكيلاني التي ابتعثت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليظهر على مسرح الأحداث على أرض فلسطين في القرن العشرين. فقد ابتعثت "المهرج" شخصية صقر قريش "عبدالرحمن الداخل".

ابتعاث صقر قريش مؤسس الدولة الأموية الثانية في الأندلس ، والحديث عن العصر الأموي عصر الفتوحات، أديا إلى تفتق جروح لم تندمل.

تبدأ المسرحية على مقهى يجلس عليه أنماط من البشر ، أهمها في رأيي شخصية معلم اللغة العربية – رغم صغر دوره -فقد كان يتدخل لتصويب أخطاء الآخرين وتلك إشارة رمزية تهيئ المتلقي للصراع القادم .

بدأ المهرج يجسد شخصيات على خشبة مسرح المقهى ، وقام بأداء شخصية "عطيل "البطل العربي الذي استكثر عليه أبناء البندقية أن يكون قائدا عليهم ، واستكثروا عليه حب ديدمونة له، فانتقموا منه ووشوا عليه، وتسرع في الحكم وكانت النهاية الفادحة، فهل نفهم من هنا أن التسرع طابع الشخصية العربية.

الامتياح الثاني الذي يحتوي على أكثر من مغزى هو ابتعاث شخصية صقر قريش ؛ إذ قام المهرج بتجسيد الدور بطريقة هزلية مضحكة مزيفة للحقائق، هنا نفض الهيكل العظمي لصقر قريش الحقيقي التراب من عليه ثم أصبح المزيف في مواجهة الحقيقي بعد أن اكتست العظام لحما .

بدأت المواجهة وإن شئت المحاكمة بين الصقرين ؛ فقد كان مشهد المواجهة بين الصقرين من أخصب مشاهد المسرحية على الإطلاق ، مواجهة خالطتها بعض الدهشة من صقر قريش الحقيقي ،حين علم بالتغيير الذي حدث في نمط الحروب والأسلحة وحتى وسائل التعذيب حيث لم يصمد أقوى فرسانه عند تعرضه للتعذيب.

يتحدثون عن فلسطين – واليوم العالم العربي في كثير من جوانبه صار مثل فلسطين وأشد – ويتفتق الجرح العربي وتتسع دائرته وينبثق صوت فيروز وهي تشدو "الغضب الساطع آت"

يفاجَأ صقر قريش بالحدود بين الدول التي لم تكن موجودة في عصره ؛إذ حالت دون رغبته المُلحّة في السفر لتحرير الأراضي المسلمة المغتصبة ؛ لم يستطع ؛ لأنه لا يملك جوازا للسفر ، ولا يعي ما معنى جواز. مُنع من السفر في حين سُخّرت كل الإمكانات لعبور راقصة . هل نفهم من ذلك أن العرب يقدمون الرموز الفنية أو قل الخليعة على الرموز التاريخية؟!

لم تذكر المسرحية اسما لأي شخصية عدا "ديجانقو" صاحب المقهى، وهذا له دلالته؛ إذ يضفي على المسرحية طابع العمومية والاستمرارية؛ حتى لا تتقوقع في مكان محدد وإطار إقليمي ضيق.

بعد التحقيقات والاتهامات التي كالوها لصقر قريش تبيّن لهم حقيقته ، احتفلوا به ، فكيف كان الاحتفاء به؟!

أحضروا المغنين والراقصات والشعراء وأقاموا حفلا خطابيا غنائيا راقصا ترحيبا بقدوم جدهم أو ابتعاثه أو اكتشافه. وأخيرا قرروا أن يضعوه في قفص ليأتي السياح يتفرجون عليه بمقابل مادي .

ثم باعوه لأحد السياح ، وكان إسبانيًّا ، وفي ذلك مغزى لأن الرجل الذي أقام دولة مسلمة على أرضهم اشتروه اليوم!!! وعاد فاتح الفردوس المفقود لأيدي الذين أخذوا الفردوس المفقود من أحفاده. وكانت قيمة الصفقة ثلاثين ألف طن من البصل !!!

رغم التراجيديا الطاغية على النص ، فالعرض لم يغفل الجانب الكوميدي المضحك الذي جاء متدثرا بالرداء التراجيدي حيث الضحك كان أسود اللون، والأسنان حينما تفتر ضاحكة فإنها تشق طريقها بصعوبة بين الدموع المنهمرة وتكاد الشفاه تغرق في سيل الدموع.

المسرحية ملأى بالمفارقات التصويرية في معظم مشاهدها ، خاصة مشهد المواجهة بين الصقر الحقيقي والمزيف ، ومشهد محاولة صقر قريش عبور الحدود .

استخدمت المسرحية أسلوبا سينمائيا وهو "الفلاش باك" بمعنى رجوع الأحداث إلى الماضي وعودتها مرة أخرى إلى الحاضر حاملة معها طاقة كامنة لتغير مجرى الأحداث، إذ بدأت المسرحية في المقهى ثم عادت للعصر الأموي ثم عادت مرة أخرى للمقهى.

كثرت الرمزية في حوار الممثلين ، فكل الكلمات والمواقف كانت لها دلالاتها وإيحاءاتها. كما نصبت المسرحية محكمة، لكن الحكم لم يصدر بعد .

تجدر الإشادة بفرقة الأصدقاء بجميع أعضائها وعرّابها محمد نعيم وبالطاقم في الإخراج والديكور المذهل رغم بساطته ؛ إذ كان قادرا على التعبير عن المشاهد.

المرأة في اللغة

كان الناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، يئدون البنات ،ولا يعطون المرأة حقها في الميراث، حتى جاء الإسلام ،فأعطى المرأة حقها كاملا ولم يظلمها.

وقد كان للمرأة دور كبير في الإسلام؛ إذ يكفيها أن أول من أسلم من البشرية كلها كان امرأة، ويكفي موقف أم سلمة رضي الله عنها في الحديبية.

بعد كل هذا العدل الإسلامي، هل ظلمت اللغة العربية المرأة؟

فلنضرب أمثلة على بعض الأسماء والمفردات:

-إذا أصاب الرجل في أمر ما فهو مصيب ، وإذا أصابت المرأة فهي "مصيبة"

-إذا نزل الرجل فهو نازل وإذا نزلت المرأة فهي "نازلة:"

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج

-إذا قرع الرجل الباب فهو قارع ، وإذا قرعت المرأة فهي "قارعة"

-وإذا وصف الرجل بالحياة فهو حيّ ، وإذا وصفت المرأة فهي "حية

وأختم بقول المتنبي:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال.

رسالة إلى أخي خالد "رحمه الله"

عشت أخي موطأ الأكناف ، تألف وتؤلف ، ما خذلتنا ولا أسلمتنا ، عشت أخي عزيزا عظيما مهابا متواضعا رفيعا خفيفا ، جميل المعشر حسن الخلق ، بهيّ المحيا ، حاملا للأمانة طلق الوجه واثق الخطوة ، تكاد الأرض تفخر بحملها إياك.

عشت أخي حاملا الآلام فوق الآلام ، فقد تكسرت عليك النصال فوق النصال ،فما خفت نصلا ولا هبت طعنا.

خضت غمار الحياة و رأسك مرفوعة وقدمك راسخة رسوخ عقلك، فأنت من الراسخين الذين يعلمون تأويل الحياة ، وأنت من المجاهدين الذين فضلوا على القاعدين ،وأنت من النازلين حيث شئت والرافعين مناكبهم تزحم الشهبا .

كأني بك في برزخك ترقبنا : ماذا أحدثا بعدك؟ اطمئن وارقد هادئا فما أحدثا إلا كل خير ، ولتعلم أن مآقينا ما جفت وأن سرائرنا ما هدأت ولا عرفت جُنوبنا للنوم سبيلا منذ أن بنت عنا .وما استمتعنا بماء بارد لعلمنا أنك حُرمت منه آخر عهدك بالفانية. فهنيئا لك السلسبيل والتسنيم وحوض نبيك الكريم

أخي ما ضلت قلوبنا بعدك ولا نسيت ، فنذكرك كلما هممنا بشرب الماء من عطش وخيالك في الكأس مرسوم ، وما ذكر الموت إلا ذكرناك كأنك أول من أحدثه ولا الحياة إلا ذكرناك كأنك أول من فارقها. لكنْ عزاؤنا في مصيبتنا الأولى:

وما فقد الماضون مثل "محمد" ولا مثله حتى القيامة يفقد

هذا عام مضى وما زلت أذكر يوم رحيلك حين أتاني الناعي فجرا : أمر الله قد تم

آمنت بالله ربا خالق الموت والحياة ،خالق الملائكة ،جاعلها مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء ، آمنت بالذي أذاق كل نفس موتا ، ولو استثنى لاستثنى نبيه وخليله وحبيبه وصفيه أبا

القاسم ، الذي خُيّر بين الخلد وجوار ربه فاختار الرفيق الأعلى وجوار ربه ، وأنت لو خيرت لاخترت جوار ربك ، أما أنا :

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

لأنك ما خلقتَ للفانية وما خلقتْ لك ، فمثلك ومثلها كما مثّل نبينا صلى الله عليه وسلم كمثل راكب استظل بشجرة ثم تركها ، فهي ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما .

مضيت أخي إلى ربك حاملا أفضل ما يحمل ، حملت حسن الخلق الذي يكون أثقل ما يكون في ميزان وضعه الله وجعل الشمس والقمر بحسبان وأسجد النجم والشجر ورفع السماء وأعلاها

حملت إلى ربك ثواب تربيتنا ، حين كنا صبية صغارا كزغب الحواصل لا ماء ولا شجر ، فما من خير أتانا إلا وأنت وراءه أجدك تدفعنا إليه دفعا وتدفعه إلينا دفعا ، وما من شر أخطأَنا إلا وأنت تنحّيه عنا وتبعدنا عنه .

ما كانت الدنيا يوما شغلك الشاغل وما كنتَ تؤثر نفسك علينا وما كانت رغباتك مقدمة على رغباتنا ، شأنك شأن القائل:

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

فكنت دوما صاحب اليد العليا وكنت صدر المجلس وسيد الكلمة وفارسها الذي يُقِلّ الكلام ولكن حين يتكلم يضع كل شيء في موضعه ، حلمت عمن جهل عليك وصفحت عمن أساء إليك وعفوت عمن ظلمك.

فارقت الفانية وما زال على أعناقنا فضل نُطَوَّق به ، وما زال على القريب والغريب دَيْن لك لم يقضه ولن يقضيه.

أخي عشت مهابا دونما بطش ، شجاعا دونما تهور ، متواضعا دونما ضعف :

يغضي حياء ويُغضَى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

كنت مؤمنا في السراء والضراء حاملا همّ الناس وإصلاحهم ،وهمّ الإخوة وإنجاحهم ،كريم اليد صادق اللسان سخيا في الفقر والغنى:

حالات الزمان عليك شتى وحالك واحد في كل حال

كنت لنا كما قال الشاعر:

أخ لي ما أراه الدهر إلا على العلات بسّاما جوادا

سألناه الجزيل فما تلكّأ وأعطى فوق مُنيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا فأحسن ثم عاودنا فعادا

أخي تركت أما ثكلى ما زالت تخنقها العبرة وهي كعادتها عندما تنادي أحدنا تمر بجميع أسمائنا ثم تأتي للمقصود في الآخر ، ما زلت حين أهاتفها تنادي : بشرى ، خالد ... ثم تتوقف لتحوقل وتسترجع وتبكي ، وأنا أحوقل وأسترجع وأبكي .

الحمد له الذي أكرمنا بأخوتك ، وأكرمنا بحمل اسم أب واحد وأم واحدة ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ؛ لأننا فقدنا قبلك من انقطع عنا الوحي بموته ثم فقدنا أبا ما خُلق للفانية، مثلك تماما ، مضى ومضيت وذهب وذهبت وخُلّفنا بعدكما كجلد الأجرب.

أحبك قومك أخي لأنك منهم تطعم الجائع وتكسو العاري، تغيث الملهوف وتحمل الكَلّ ، وتمضي مسرعا في حاجة اخيك يكفي أن مسلما استجار بك فأنت الملبي ، كأنك القائل:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

فمن العباد من اختصهم الله بقضاء حوائج الناس فكنت منهم ، وزعيمهم ، شعارك :لأن أمشي في حاجة أخي أحب إليّ من أن أعتكف شهرا.

أخي سَمَّوْك خالدا فما خلدت وما بقيت ، فشأن من سماك كشأن القائل:

سميته يحيى ليحيا ولم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

ولكنك خالد في قلوبنا ووجداننا ، ولو أستطيع لفديتك بنفسي:

فليتك كنتَ الحي في الناس باقيا وكنتُ أنا الميْت الذي أدرك الدهر

أخي إنه الموت ذلك السارق الذي دق شخصه الذي يصول بلا يد ويمشي بلا رجل ويجوس خلال ديارنا ويمضي بيننا ويتخلل دواخلنا.

حكم المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار

وهذه فلسفة الموت التي يعمل بها وطبقها على آل يسن ، فسلام على آل يسن ، وهذه فلسفة الإزاحة التي نفذها علينا ، فقد أخذ خالدا وأتى ببنته ، أخرج الحي من الميت ، فقد وُلدت البنت يتيمة لتكمل سلسة إعجاز بدأها والدها .

سيرة عطرة تركها ذلك الرجل ، كأن سلسلة فضائله لم تنفد ،وموسوعة خوارقه لم تنقض ، فما زال في الجعبة الكثير، هي ابنته ولدت يتيمة لا تقوى على نداء أبيها ،جاء الحي من صلب الميت ، فسبحانه مخرج الحي من الميت !!!

أخي أسطر لك هذه الكلمات وأعلم أنك لن تقرأها ولن تسمعها ، "وما أنت بمسمع من في القبور" لكن نحق الحق وننزل الناس منازلها فأنت أعطيت وما منعت وسمعت وما عصيت، وجمعت وما فرقت، ووحدت وما شتتّ، وأحببت وما كرهت ، وما قلت لا لسائل:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

كنت تعطي الاخر وتستمتع كأنك أنت الآخذ، تطعم الجائع وتجد طعم اللقمة في فيك

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

فسلام عليك -أخي الحبيب - حيث ترقد في برزخك وإلى لقاء في جنة ربك ، فنحن في شوق إليك وندعو الله أن نلقاك ونلقى الأحبة ،ولكن أخشى أن لا يجاور مقامي مقامك فأكون من الخاسرين

فأنت :

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات

خواطر حول الفقيد

في رثاء عمي الحاج عبد العاطي والد زوجتي

عاش غريبا ومات أنيسا ، قضى معظم عمره خارج بلاده، أمينا على أسرته ، مخلصا في عمله، نزيها في تعامله، صادقا في كلامه ،خفيف الظل ، لطيف الروح. كان أنيقا ،دائم الابتسامة، حاضر النكتة ،سريع البديهة، قارئا للقرآن ،من الذاكرين المصلين.

لو سُئلتُ عن شخص أدّى رسالته على أكمل وجه، أقول هو، لو قيل لي من ذا الذي كان همّه أسرته ونجاح أبنائه والحفاظ عليهم أقول هو.

كان عفيف النفس كريم اليد ، لم يمدّ يده لأحد طول عمره ،لا تسوّلا ولا دَيْنا ولا حاجة، كانت يده هي العليا دائما ،عاش ومات وخيره على الجميع، أغدق عليهم هباته وعطاياه إلى أن مات، كان متكفلا باحتياجاته يُعالَج من ماله ،وتم تشييعه بماله، ودفنه بماله.

ترك ذريته على الطريق الصحيح ،رباهم وكبّرهم وعلّمهم، وحفظهم من كل سوء وحماهم من كل مكروه.

عانى في حياته أشدّ المعاناة، من اليتم والغربة وفقد الولد وفقد الابن ، ومن المرض ، ولكنه تحمّل كل ذلك بروح طيبة، بصبر المؤمن وجلَد المسلم ، لم يتضجر ولم يتأفف، ولم ينزعج ولم يتسخط.

كان فضله علينا جميعا ، ولم يكن لأحد ، لا أبناؤه ولا بناته ولا أحفاده ولا أصهاره فضل عليه.

اختار الله له وطنه مرقدا وقبرا وخاتمة لمشواره ونهاية لحياته ، رغم أن كل بقاع الدنيا تشتهي أن تضم رفاته الطاهر:

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

كان يعطي مَن حوله عطاء من لا يخشى الفقر ، يهبهم من ماله وفكره وعصارة خبرته ،موجها وناصحا، يسعد بذلك ،وهذا شأن الكرام يسعدون بالعطاء سعادة الآخرين بالأخذ.

لا أنسى أول لقاء بيننا حينما ذهبت لخطبة ابنته ، كنت خائفا وَجلا مرعوبا لأنني كنت شابا صغيرا ، لا مال ولا خبرة ولا عمل ، لا أهل معي يتحدثون عني، كنت أعلم عنه أنه كان ذا هيبة ، قويا صعب المراس، محنّكا، يقرأ ما بين السطور ، يعرف النوايا ،ويفهم المقاصد، ويقدّر الأمور، لكنني وجدته معينا مساعدا مساندا متفهما.

كان يمتلك قوة جذب عالية ، كانت شخصيته مركزية ومحورية ،يلتف حوله الجميع، فالمكان لديه يتسع للجميع ،كقلبه، لك الله يا بيت غادره مركز الجذب ،وتركه محور الارتكاز، وهوى منه السقف ، وغاب عنه !!!

كان يتألم ألما مُمضّا ، ويتوجّع وجعا شديدا ،ويوعك وعكا عظيما، لو وزّع على مئة رجل لملأ صراخهم الآفاق ، لكنه ما كان يئن ولا يتأوه، كان صابرا صلدا جلدا :

"إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب"[1]

سلام عليك -يا عمّي - في جنات الفردوس ، رفع الله قدرك ومنزلتك ،وأعظم أجرك وأحسن عزاءنا وغفر لك ورحمك.

(١) سورة الزمر : الآية ١٠.

الحسد : مفهومه ، الآثار الواردة فيه ، كيفية الوقاية

الحسد لغة من الجذر اللغوي "ح . س . د" وهو تمني تحول نعمة الغير أو أن يُسلبها ، ويقال حسده النعمة أو حسده عليها "[1]

وهو من الأخلاق الذميمة التي تعيب صاحبها ، والمتصف به يسمى الحاسد ،والذي يقع عليه يسمى المحسود.

هناك فرق بين الحسد والغبطة ، فالغبطة محمودة ،وهي تمني مثل نعم الغير دون زوالها.

ذكر القرآن الكريم أن الحاسد ذو شر ينبغي الاستعاذة منه ومن شره" ومن شر حاسد إذا حسد"[2]

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أورد الحسد منهيا عنه" ولا تحاسدوا..." [3]،و أورده صلى الله عليه وسلم محذرا منه في صورة بلاغية رائعة تجعل النفس السوية تنفر منه:" إياكم والحسد ؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . "[4]

لِمَ كان الحسد ذميما ومحذَّرا منه؟

لأن النعم من الله ومن خزائنه ،يهب من يشاء، ويمنع من يشاء، فكأن الحاسد -والعياذ بالله - معترض على تقسيم الله ، وكأنه يرى أن له الحق في المنح والمنع ، والله يقول" أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا..."

ذم الشعراء الحسد منذ القدم ،وقد احتوى ديوان العرب على نماذج عدة في هذا الشأن :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه والناس أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا إنه لذميم

فالحاسد لا يوجه سهامه إلى مسلوب النعم ،ولكن يوجهها إلى ذي النعمة ، فـ "كل ذي نعمة محسود".

---

(١) المعجم الوسيط ص١٧٢ ط٤.
(٢) الفلق الآية (٥).
(٣) متفق عليه البخاري (٦٠٦٤) مسلم (٢٥٥٨).
(٤) أبوداود (٢٧٦/٤)رقم (٤٩٠٣).

يوجهها إلى القامات الشوامخ التي خصها الله بفضله " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله"[1]:

إن العرانين تلقاها محسّدة ولا تكاد ترى للئام الناس حسادا

قد يلتبس الأمر على بعض الناس حين يقرؤون حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا".[2]

قال النووي في شرح مسلم: فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة وان كانت طاعة فهي مستحبة والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما...[3]

وقال ابن حجر في فتح الباري: وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازا، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة. [4]

قال الفيلسوف راسل :" إن الحسد هو أقوى أسباب التعاسة.

قد يمتد الحسد إن استشرى بصاحبه إلى أن يجعله يؤذي المحسود ويلحق به المصائب :"(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ")[5]

هكذا يكون الحاسد باتصافه بهذا الخلق الذميم، يكون قد نفى عن نفسه الإيمان ،وفارق أهله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد"[6]

كيف يقي الإنسان نفسه ويمنع نفسه من أن يكون عرضة لحسد حاسد؟:

بدءا عليه بأذكار الصباح والمساء ،والابتعاد عن كل حاسد، والاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان.

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٤.
(٢) متفق عليه البخاري (٢٥/١)٧٣ومسلم (٥٥٨/١)(٨١٥).
(٣) شرح النووي على مسلم (٩٧/٦).
(٤) فتح الباري لابن حجر (٢٠١/١).
(٥) سورة البقرة : الآية ١٠٩.
(٦) ابن حبان (الاحسان)٤٦٦/١٠رقم٤٦٠٦.

ظاهرة البخل في الأدب العربي

هناك ظواهر تلم أحيانا بالنفس الإنسانية، وتلتصق بها أحيانا ، وقد يكون وجودها مؤديا إلى الضرر وباعثا على النفور.

من تلك الظواهر البخل، ونسلّم قبل كل شيء أن البخل له غريزة تحفّز إليه، وقد يطرأ أحيانا على الإنسان إذا اقتضت ضرورة ذلك ، وقد يتمكن من الإنسان ويستفحل.

سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم، أيكون بخيلا ؟ قال : نعم، أيكون كذابا؟ قال : لا " أو كما قال .[1]

نستخلص من ذلك الهدي النبوي أن هناك غرائز جبلت عليها النفس الإنسانية ، وتكون نتائجها مقبولة لحد ما إن كانت في طبيعتها.

غريزة الحرص على النفس والخوف عليها -إن استفحلت -تؤدي إلى الجبن ، وغريزة حب التملك -إن زادت - تؤدي إلى البخل، وأهم ما يورده الحديث هو أن ليس ثمة غريزة تحث وتحفز على الكذب ، لذا نفاه النبي صلى الله عليه وسلم.

نتناول في الأجزاء التالية نماذج للبخل من الأدب العربي.

من أشهر ما قيل في وصف إنسان بالبخل أبيات جرير:

قوم إذا أكلوا أخفوا حديثهمو واستوثقوا من رتاج الباب والدار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهمو قالوا لأمهمو بولي على النار

فتمسك البول بخلا أن تجود به ولا تجود لهم إلا بمقدار

هؤلاء القوم عندما يبدؤون في الأكل يتحدثون همسا ؛حتى لا يسمعهم أحد ، فيشاركهم الطعام، ويُحكمون إغلاق الباب ؛ حتى لا يدخل عليهم ضيف. وكلبهم أبخل منهم ؛ لأنه لا ينبح بل "يُستنبح"

المعروف في عادات الجاهلية إشعال النار لاستقدام الضيف، هؤلاء يطفئون النار ، وهل يطفئونها بماء؟ لا ، لأن الماء لا يمكن أن يفرط فيه بخيل ، وإنما يطفئونه ببول ، وبول من؟ سيدة

(١) موطأ مالك (٢/٩٩٠)

عجوز، دليل على قلة البول وضآلة النار، فهل تجود هذه العجوز ببولها؟ لا ، تمسكه بخلا ، ولا تجود لهم إلا بمقدار!!!

وهذا شاعر يهجو من أسماه ابن يوسف ، ويصفه بالبخل:

لو أن بيتك يا بن يوسف ممتل إبرا يضيق بها فناء المنـــزل

وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ليسد قدّ قميصه لم تفعـــل

البيت جميعه ممتلئ ، ليس شيئا قليلا ، وممتلئ بإبر ليس شيئا غاليا، وجاءه من؟ أبوه ؛ ليستعير وليس ليأخذ بدون مقابل، لم يعطه ، رغم أنه ينبغي أن يكفي أباه ذل السؤال ويلبسه ملابس سليمة!!!

آخر النماذج التي اخترتها:

يقتر عيسى على نفسه

وليس بباق ولا خالد

ولو يستطيع لتقتيـره

تنفس من منخر واحـد

إن عيسى من شدة تقتيره وبخله ، يبخل حتى باستخدام المنخرين في النفس الذي يعود له بالحياة، ولو استطاع أن يتنفس من منخر واحد لفعل!!!

المراجع :

١. القرآن الكريم .

٢ -المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي مسلم (شرح النووي) ٩٧/١٨ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٣ -سنن أبي داوود / دار الريان للتراث / دار الحديث ١٤٠٨هـ

٤ -موطأ مالك / دار إحياء الكتب العربية

٥ -ابن حبان "الإحسان" مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى

٦ -فتح الباري لابن حجر .دار الريان للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

٧ -ديوان لعيني أم بلقيس للشاعر عبدالله البردوني الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

٨ -الشعر العربي روائعه ومدخل لقراءته / الدكتور الطاهر مكي –الطبعة الرابعة ١٩٩٠ دار المعارف .

٩ -مأساة أوديب بين سوفوكليس وتوفيق الحكيم للدكتور محمود الربيعي .دار الثقافة العربية.

١٠ - المعجم الوسيط / الطبعة الرابعة / مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٣م

١١ -ديوان بن الرومي / دار الكتب القومية / الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ

١٢ -ديوان محمد عمر توفيق / الشبكة العنكبوتية

١٣ - العادات السبع للناس الأكثر فعالية ١٩٨٩ الناشر Free Press

الفهرس:

م	الموضوع	الصفحة
١	إهداء	٣
٢	المقدمة	٤
٣	بين البردوني وأبي تمام	٥
٤	دراسة مقارنة في رثاء الولد	١١
٥	قراءة في قصيدة عم عبدالرحيم	١٤
٦	مفاهيم حول الشعر	٢٥
٧	مأساة أوديب بين الأسطورة والأدب	٢٧
٨	الماغوط ومحمد نعيم في "المهرِّج"	٣٢
٩	المرأة في اللغة	٣٥
١٠	رسالة إلى أخي خالد رحمه الله	٣٦
١١	خواطر حول الفقيد "عمي عبد العاطي"	٤١
١٢	الحسد	٤٣
١٣	ظاهرة البخل في الأدب العربي	٤٥
١٤	المراجع	٤٧
١٥	الفهرس	٤٨